المحاضرة السادسة :المسالك والمضايق والعبور الحضارية عبر العصور.

شكلت الطرق والمسالك البرية والبحرية همزة وصل بين مناطق العالم ، ومعابر تواصل بين الحضارات عبر التطورات التي عرفتها تاريخيا .

-المسالك النهرية والبحرية الحضارية :

-المضايق والممرات المائية :

-المضيق أو الممر المائي: هو ممر مائي يفصل بين أرضين ،ومن أشهر المضائق: مضيق جبل طارق ، الذي يفصل بين اليابس الإفريقي جنوبا واليابس الأوروبي شمالا .. ، ، ومضيق ماجلان بين المحيط الأطلسي والمحيط الهادي، ومضيق باب المندب يصل بين البحر الأحمر والمحيط الهندي، ويعتبر المضيق من الناحية الجيولوجية بمثابة انقطاع في امتداد الجزر وفيما يلي أمثلة عن بعض المضائق وأهميتها :

-مضيق الدردنيل: كمعبر بحري مابين البحر الأسود وبحر إيجة حيث اكتسى أهمية تاريخية، كانت تعبره السفن من بحر إيجة باتجاه الحر الأسود، واحتلت طروادة مكانة هامة منذ أوائل عصر البرونز، ولم تنتقل أهميتها إلى الطرف الآخر من المضايق إلا بعد تقدم عصر الحديد، وتنقل سفن كبيرة من البحر الأسود إلى بحر إيجة.

-مضيق البوسفور: كان المدخل الطبيعي نحو مصب نهر الدانوب، وتدلّ آثار عصر البرونز التي عثر عليها على أن الإيجيين الأوائل عبروا هذا المضيق منذ 2600 ق.م إضافة إلى ما تضمنته الإلياذة من أحداث وما دار حول في رحلة الأرجونت إلى البحر الأسود للحصول على فراء الحمل الذهبي .

-الطرق البحرية والأنهار :

– الطريق البحري في البحر الأحمر: الذي يعبر باب المندب وينتهي عند العقبة أو السويس الحالية ، ويخدم هذا الطريق عدد من الموانئ أهمها على الساحل المصري خاصة عيذاب وليكوس اليمن وعلى ساحل الحجاز ميناء لويكي كومى .[1]

- نهري دجلة والفرات: كان لهذا النهرين دور في الاستقرار البشري بالعراق كما كان النيل بالنسبة لمصر، مع الفارق في الحالتين ، إذ كانت مياه دجلة والفرات تأتي من ذوبان الثلوج من جبال زاغروس في غربي إيران وجبال آسيا الصغرى الشرقية في فصلي الربيع والصيف، إضافة فيضان النهرين المفاجئ وفي مثل هذه البيئة استلزم الاستقرار مجهودات كبيرة لكبح جماح دجلة والفرات .

كما أن نشأة الحضارة في مصر ارتبط بوادي النيل حيث كان يجري من الجنوب إلى الشمال وتعلم المصريون منذ أقدم فجر التاريخ المكتوب استخدام مجرى النهر الواحد طريقا للانتقال والنقل النهري من الاتجاهين ومن هنا كانت الوحدة في مصر وكان قيام الدولة ذات الحضارة [2] .

-القنوات والبرازخ :

-البرزخ –القناة: هي ارض فاصلة بين بحرين ، ومثل ذلك برزخ السويس الذي كان قبل شق القناة 1869 فاصلا أرضيا بين البحر الأحمر جنوبا ممثلا في خليج السويس ، والبحر المتوسط شمالا، وكان العثمانيون قد توقفوا عن حفر القناة التي بدؤوها سنة 1529 .

---

[1] . الجغرافيا التاريخية دراسة تطبيقية ، ص 434.

[2] . الجغرافيا التاريخية ، دراسة أصولية تطبيقية ،ص 475.

- **برزخ قناة بنما** الذي كان يفصل بين مياه خليج المكسيك والمحيط الأطلنطي بعامة ومياه المحيط الهادي قبل شق قناة بنما . أما المحيط الهندي فقد ظلت مياهه هادئة نوعا ما حتى تدخل البرتغاليون عام 1498 إثر رحلة الطواف البحرية المشهورة حول رأس الرجاء الصالح وانقلب الحال منذ ذلك التاريخ .ودوران السفن الهولندية حول رأس الرجاء الصالح ذهابا في عام 1596 وإيابا في عام 1598.

ويذكر فرناند بروديل أن الخبرات المتوسطية دخلت إلى أروبا من أربعة برازخ :

-**البرزخ البولوني-دانتزينغ :** تقاسم نشاطه التجاري من البهارات والتوابل كل من تركيا وجنوى في القرن السادس عشر، وانجذب في القرن السابع عشر إلى تجارة بحر البلطيق ونهر الدانوب غربا لإفادة من أسواق القمح والأخشاب.

-**البرزخ الروسي :** اتخذه الإنكليز طريقا بريا بحريا تدور حول أوروبا من جهة الشمال للوصول إلى توابل الهند والصين.وبدأ يكتسي أهمية بداية من سنة 1553 من طرف الانجليز بالوصول إلى سان نيقولا على بحر البلطيق ومنه إلى الشرق مرورا بالحيّز الروسي في كل من الهند والصين وتوابلهما وحريرها، ومع سنة 1575 تخلّى عنه الإنجليز ليعودوا إلى اعتماد طريق المتوسط التي تمر إلى سوريا.

-**البرزخ الألماني :** يشغل أروبا الوسطى كلها من فرنسا غربا وصولا إلى هنغاريا وبولونيا شرقا ومن بحر البلطيق شمالا إلى كل من البحرين التيراني والأدرياتيكي جنوبا، وكانت الطرق التي تخترق هذا البرزخ متقاربة في جنوبه متباعدة في شماله والبالغ عددها 21 طريقا ومعبرا بفضل التجار وسكان المدن مما سمح بربط البحيرات والأنهار مثل الرون والراين بعضها ببعض، فالتوابل والبهارات والقطن التي كانت تصدرها هذه المدن باتجاه الشمال كانت تمر في ألمانيا لتعج البندقية بالتجار الألمان .

-**البرزخ الفرنسي** الذي كان يمثل امتداد من مرسيليا إلى ليون فمنطقة البرغوني في باريس وصولا إلى روان ،وعن هذه الطرق كانت تفرعت طرق ثانوية تربط جهات فرنسا بكل من اسبانيا وأروبا الوسطى وايطاليا وانقير في الشمال، وكانت ليون مركز هذه الشبكة من المواصلات التي كانت مشدودة باتجاه الشرق والجنوب الغربي

كما يعرف الخليج أنّه مسطح مائي طوله أكثر من عرضه، ومن أشهر الخلجان خليج بوثينا وفنلندا وكاليفورنيا، والخليج العربي، والخليج في تعريفه يشبه الضيق في أنّه حيّز من الماء الذي يفصل مابين أرضين ومثال ذلك الخليج الاسترالي العظيم، وخليج والفش بغرب إفريقيا وخليج نابولي وجنوبه، وخليج غانه ، وخليج المكسيك، وخليج البنغال، ثم خليج تايلندا الذي يفصل بين الهند الصينية والملايو ، وخليجي العقبة والسويس الذان يحدّان سيناء من الشرق ومن الغرب .

في نهاية القرن السادس عشر تراجعت الملاحة في البحر الأسود وانتقلت الريادة من السيطرة البحرية إلى البرية، فطريق الحرير انتقل من القرن الرابع عشر من البحر الأسود ليعبر بلاد فارس وتضررت تركستان لهذا الانتقال [3].

والبحر الأيوني كان من أكبر المساحات اتساعا بما يشكله من امتداد بحري لامتداد بري فارغ ، وهو ما شكل منطقة هائلة الاتساع مائية وصحراوية تعزل الشرق عن الغرب وتفصل بينهما، أما من الجهة الغربية لصقلية فيمتد حيز بحري آخر شاسع بدوره ويصل

[3] . بروديل ، العالم المتوسطي ...،ص 37.

حتى اسبانيا والمغرب وهو بحر سردينيا الذي كان صعب العبور لكن السفن استطاعت أن تتجاوز الصعوبات عبر مسلكين بحريين اثنين : طريق تمتد بمحاذاة السواحل البلقانية بعد عبورها مضيق ماسينا تعرف بالمسيحية، وطريق إسلامية تنطلق من السواحل الألبانية وتمتد منحنية لتعبر بين صقلية والشاطئ الإفريقي وصولا إلى بنزرت فالجزائر هذان الطريقان شكلا رابطا بين الشرق والغرب من الناحيتين الجغرافية والسياسية مما اكسبهما أهمية بالغة في تاريخ المتوسط ووحدته من الناحية التاريخية [4].

- **رحلات القوافل التجارية والحج :** اتبعت هذه الرحلات مسالك اكتسبت بعدا اقتصاديا وحضاريا فمثلا قوافل التجار والحجاج الضخمة من شمال بلاد المغرب إلى مكة، ومثلها التجارة الصحراوية تجارة الملح والعبيد والنسيج والذهب نمت وازدهرت في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، فالطريقان المعروفان بطريقي الذهب والتوابل المستعملان من طرف القوافل التجارية للشرق الأوسط : -الأول طريق سوريا والقاهرة المتجه إلى مكة مرورا في البحر الأحمر ، والثانية طريق حلب دجلة باتجاه المحيط الهندي مرورا بالخليج الفارسي، هذه الطرق كانت مستخدمة منذ القرن الثاني عشر بوصفها صلة الوصل بين البحر المتوسط والمحيط الهندي باستخدام وسائل النقل البري والبحري في آن واحد من أجل تبادل الذهب بالتوابل.

ويمكن أن نخلص إلى أن التطورات الحضارية التي عرفها العالم أثرت على المسالك والمعابر باعتبارها مراكز عبور للهجرات البشرية والنشاط الاقتصادي مما كان له الأثر في التاريخ الجغرافي للكثير من مسالك العالم عبر العصور.

[4] .فرناند بروديل ، العالم المتوسطي .. ،ص 41.